

«الدعاء» مدرسة إيمانية



«قال تعالى: (قُلْ مَا يَْعْبُدُونَ إِلَّا بَرَّيْ لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ) (الفرقان/ 77). هكذا يقول القرآن الحكيم وهو الحق، فإنَّ الدعاء بالإضافة إلى أنَّه يمد النفس بطاقة هائلة من النشاط والحيوية والجرأة في ميادين العمل والإقدام، إذ أنَّ الشخص بالدعاء يرى نفسه متصلة بقوة خارقة بيده كل شيء وهو على كل أمر قدير. فتخف وطئة الألم وما إليه في ذاته، وهذا كاف في إمداده بقوة نفسية مثابرة، فيقدم نحو الأعمال بجرأة فائقة.. ويتجرع الغصص وهو واثق من أنها ستزول لأنَّه يستمد من خالق الكون وهو قادر على إعانتة لدفعها.

- أسباب عدم إستجابة الدعاء؟ في الحديث القدسي أن بني إسرائيل أصابهم قحط سبع سنين فخرج موسى (ع) يستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله تعالى إليه "كيف أستجيب لهم، وقد أظلت عليهم ذنوبهم، وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري". إرجع إلى عبدٍ من عبادي يقال له "بَرَّخ" يخرجُ "استجب له". فالإنسان لابدَّ وأن يصفى نفسه من الشوائب والذنوب والمعاصي حتى يضمن طريق الله في إستجابة الدعاء لأنَّ الدعاء مخ العبادة، كما جاء في الحديث فإذا أُستجيب الدعاء قُبلت العبادة وكذلك إذا رُدَّ الدعاء رُدَّت العبادة. فهذا الحديث يعطينا ضوء أخضر لثلاثة نقاط هي التي تحجب الدعاء من الإستجابة.

• كثرة الذنوب والمعاصي "وقد أظلت عليهم ذنوبهم" ما لا شك فيه بأن كثرة الذنوب والمعاصي التي يقوم بها الإنسان تحجب الدعاء من الإستجابة، وقد يطول ذلك مع إستمرار المحرمات. وأعظم شيء مصيبة تحل بالإنسان هو سلب إستجابة الدعاء "ومع ذلك فإني سبحانه

وتعالى رؤوف رحيم على عباده فالإنسان هو الذي يطغى ويتختر ويتكبر ويرتكب الذنوب والمعاصي بحق الله وبحق عباده ومع ذلك يفتح لهم باب التوبة. فيقول: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر/ 60)، ويقول في حديث قدسي: "لا تملّ من الدعاء، فإنني لا أمل من الإجابة" وأعظم من ذلك هو أن الله تعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير، وليلة الجمعة من أول الليل فيأمره فينادي. هل من سائل فاعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادي لذلك، حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء.

عدم اليقين "يدعونني على غير يقين". في الحديث فيما أوصى الله إلى عيسى (ع): "لا تدعني إلا متضرّراً" إليّ، وهمك همّ واحد، فإنك متى تدعني كذلك أجبك". فاليقين مرتبة عالية ليست بعدها مرتبة وليس من اليسير أن يصل إليه الإنسان، إلا بعد أن يخلص من سبحانه وتعالى في أفعاله وأقواله ويصغي قلبه ويظهر نيته من الشوائب حين ذلك يكون كما قال الله تعالى: "عبدني تكن مثلي"، تقوله لشيء كن فيكون كما أقول لشيء كن فيكون" لأن العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى علاقة المربوب بالرب، علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الفقير الفاني بالحي القيوم، فلذلك باستطاعة الإنسان أن يصل إلى هذا المستوى من الإيمان، والدعاء مدرسة إيمانية لمن يريد أن يكون طالباً فيها "فلا يبرم الدعاء إلا القضاء"، (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، (إِنَّ السَّادِّينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر/ 60). خبث النفس "سرائرهم خبيثة". من أحد عدم إستجابة الدعاء هو خبث النفس وما تحمل من مكائد شريرة حيث تصل بالإنسان إلى درجة الانحطاط فيطبع الله تعالى على قلبه فلا يرى إلا بمنظار نفسه فالحق معه حيثما كان إتخذ من البطل حقاً والحق باطلاً حيث يكن الوليات على بني جنسه. وهذا كُله من عمل الشيطان قد إتخذه صديقاً، "إنّ الشيطان ينزع بينهم إنّ الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً". ومن وصايا النبي (ص) لابن مسعود، يا ابن مسعود إتخذ الشيطان عدواً، فإن الله تعالى يقول: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (فاطر/ 6). وكما جاء في الحديث: "احذروا عدواً نفذ في الصدور خفياً، ونفث في الأذان نجياً". إذن باستطاعة الإنسان المؤمن أن يتغلب على مكائد وخبائث الشيطان حين يتخذه عدواً مبيناً. لأن إبليس قد نصب حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها إلا أوليائنا" كما جاء في الحديث. ومن هنا لابد وأن نعرف بأن هذه النقاط الثلاث حين يتجاوزهم الإنسان ويسير في السمو الإيماني الرباني حين ذلك يصل إلى ما يبتغيه من مطالب إسلامية وإستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين". ربنا آمنا بما أنزلت وإتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. سبحانه ربنا ان كان وعد

ربنا مفعولاً . إنك أرحم الراحمين. ►